دور المستشرقين الاسبان
في فهم الحضارة الإسلامية بالأندلس

بقلم

أ. د / رضوان الباروودي

كلية الآداب - جامعة الكويت

يعتبر موضوع الاستشراق والمستشرقين من الموضوعات التي كثر فيها الجدل والدراسات سواء في عالمنا العربي أو عند الغرب، فقد اختلف الباحثون فيما بينهم حول هذا الموضوع، فمنهم من يرى الاستشراق وبالاً على الإسلام والمسلمين على اعتبار أن الاستشراق قد ارتبط في الأذهان بالاستعمار الأوربي الحديث ولخدمة أهداف هذا الاستعمار، في حين يرى البعض الآخر أن الاستشراق ليس شراً كله، بل أن جهود المستشرقين - حتى ولو اختلفت دوافعها - أفادت العرب والمسلمين في أنها نبهت الأذهان إلى تراثنا الحضاري الضخم الذي كنا قد نسيناه أو كدنا بفعل عوامل الجهل والظلام الذي خيم على عالمنا الإسلامي مع بداية العصور الحديثة، ولسنا هنا بصدد دراسة هذه الإشكالية واستعراض آراء وحجج كل فريق، ولكننا سنحاول من خلال هذه الورقة أن نوضح دور مدرسة الاستشراق الأسبانية في خدمة الحضارة الإسلامية.

وبادئ ذي بدء نقول أن المقصود بالاستشراق هو ذلك الفرع من العلم الذي يختص الدارسون والباحثون فيه بدراسة لغات وآداب وديانات وحضارة الشرق بصفة عامة. (١) ويرى العديد من الباحثين أن ظهور الاستشراق يرجع إلى عاملين رئيسيين:

أ - العامل الديني..... ب - العامل السياسي

وبالنسبة للعامل الديني فترجع جذوره إلى العصور الوسطى خاصة عندما فشلت الحركة الصليبية في الاستمرار في بلاد المشرق الإسلامي وسقطت آخر معاقل الصليبيين في يد سلطان مصر المملوكي الأشرف خليل عام ١٢٩١م لذلك فكر القائمون على شئون المسيحية في الغرب الأوربي في التحول إلى أسلوب آخر لكسب المعركة بين الإسلام والمسيحية ، ويتمثل هذا الأسلوب في تحويل المسلمين إلى مسيحيين عن طريق التبشير، واتخذت عدة إجراءات لتنفيذ هذا الاتجاه ، فقد عمد رجال الدين المسيحيين إلى دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي حتى يتمكن المبشرون من مخاطبة المسلمين بلغتهم وفهم عقيدتهم ، وكان الآباء الدومنيكان من أكثر العناصر المسيحية تحمساً لهذه الأفكار، فقد أنشئت أول مدرسة للدراسات العربية والإسلامية بتونس عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م باسم Studium Arabicum نتيجة للضغط

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوي : الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي ، القاهرة . ب . ت . ص ٦ .

الذي مارسه ملك أرغون خايمي الأول الملقب بالفاتح Jaime I ELconquistador على خليفة تونس الحفصي السلطان المستنصر، وتولى رئاسة هذه المدرسة إثنان من الآباء الدومنيكان هما الأب ريموندمارتين Roymond Martin والأب ساندر Sandra[١] كما بذل المبشر الدومنيكاني رامون لل Ramon Lull جهوداً كبيرة في هذا المجال ، حيث حرص على تعلم اللغة العربية حتى أتقنها ودرس الفقه الإسلامي ودخل في مناظرات عديدة مع علماء المسلمين مما أثار حفيظتهم وانتهى الأمر بقتله في مدينة بجاية عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥م [٢]. كما قرر مجمع بلنسبه الكنسي عام ١٢٥٩م تأسيس مدرسة لدراسة اللغتين العربية والعبرية في قطالونيا عام ١٢١٦م [٣] ثم أخذت المدارس المتخصصة في دراسة اللغة وتراث الشرق تنتشر تدريجياً في أنحاء متفرقة من أوربا لخدمة الكنيسة الكاثوليكية.

وكما نلاحظ كان لأسبانيا فضل الريادة في هذا المجال، ويؤكد المستشرق الألماني المعاصر رودي بارت Rudi Paret ذلك ويقول أن أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية تمت عام ١١٤٣م بناء على توجيهات من بطرس المبجل رئيس دير كلوني وذلك على أرض أسبانية [٤]

أما عن ارتباط الاستشراق بالاستعمار الحديث فترجع جذور هذا الارتباط إلى مطلع العصور الحديثة خاصة مع بداية القرن السادس عشر الميلادي حينما ضعف العالم الإسلامي إلى حد كبير نتيجة لحالة الفوضى السياسية والجهل والتخلف الذي فرض عليه ، وبدأت البلدان الإسلامية تسقط تباعاً في أيدي القوى الاستعمارية الجديدة. ولتكريس احتلال هذه البلدان واستغلال ثرواتها الطبيعية، استعان القائمون على هذا الاستعمار بطائفة من الباحثين والدارسين لدراسة تراث المسلمين وحضارتهم ومحاولة إظهار سلبيات هذا التراث وأضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين [٥] .

---

1 - Chorles , E . Du Fourcq : L' Espagne Catalane etLe - Maghrib aux XIII Siecles , Paris , 1966, P. 109.

2 - Aziz Sorial Ateya : The Curasde in the Later Middle ages, London, 1938, P. 98

٣ - عفاف صبره : المستشرقون ومشكلات الحضارة. القاهرة ١٩٨٥ ص ١٨ .

٤ - الشرقاوي : المرجع السابق ص ٧. وإن كان هناك بعض المستشرقين يرجعون ظهور الاستشراق إلى حوالي القرن العاشر الميلادي حينما تتلمذ عدد من الرهبان ورجال الدين المسيحي على أيدي العلماء المسلمين وأخذو العلم عنهم وخاصة في بلاد الأندلس أمثال الراهب الفرنسي جرير دي أورالبك (٩٤٠ - ١٠٠٣ م) الذي تولى البابوية باسم سلفستر الثاني راجع نجيب العقيقي : المستشرقون . طبع دار المعارف جـ١ ص ١١.

بيد أننا نرى أن هناك نوع من المغالاة في هذا الرأي ويُعد عن حقيقة الاستشراق، لأن البابا سلفستر الثاني وأمثاله حينما تلقوا العلم في بلاد إسلامية ، إنما كان دافعهم هو الرغبة في تحصيل العلم نظراً لتفوق المسلمين الحضاري من ناحية، ولسياسة التسامح التي سادت بلاد الأندلس من ناحية أخرى. أما الاستشراق المرتبط بالكنيسة الكاثوليكية وحركة التبشير فقد ظهر في فترة تالية للفترة التي يتحدث عنها البعض.

٥ - الشرقاوي : المرجع السابق ص ٢٠ .

هذا عن الاستشراق الذي ظهر في أوربا بصفة عامة، أما عن الاستشراق الأسباني - موضوع هذه الورقة - فهو يختلف في نشأته ودوافعه عن مثيله الأوربي. فالأوربيون حينما درسوا تراث وحضارة الشرق، إنما كانوا كما أسلفنا - مدفوعين - بغرض ديني استعماري ، أما الاستشراق الأسباني فكان يرى أن دراسة تاريخ وحضارة المسلمين في بلاد الأندلس [١] إنما هي جزء من دراسة تاريخه هو وحضارته هو، لأن هذه الحضارة التي انتشرت في ربوع الأندلس والتي هي جزء من الحضارة الإسلامية هي في نفس الوقت جزء من التراث الحضاري لأسبانيا، ولكي ندلل على صحة ما نقول يكفي أن نشير إلى اختلاف الاستشراق الأسباني عن مثيله من مدارس الاستشراق الأوربية، فهذا الاستشراق غير مرتبط بحركة الاستعمار ولا بحركة التبشير الديني ، صحيح أن التبشير بالمسيحية بين أوساط المسلمين قد بدأ على يد جماعة من الرهبان الأسبان ، إلا أن هذا الاستشراق الأسباني الذي ظهر في القرن التاسع عشر لم يكن كذلك.

ويرى الدكتور محمود علي مكي أن الاستشراق الأسباني هو السابق في الظهور على كل ألوان الاستشراق الأوربي، لأن فتح المسلمين للأندلس (عام ٩٢ هـ) (٧١١م) أدى إلى حدوث تمازج كبير بين الفاتحين وأهل البلاد ، واختلطت كافة عناصر السكان في الأندلس من عرب وبربر وأسبان مع بعضها البعض، وكونت في النهاية ما عرف باسم الحضارة الأندلسية التي هي جزء من الحضارة الإسلامية كما قلنا ، ويضيف الدكتور مكي أن من ضمن هذه العناصر السكانية عنصر المستعربين Mozarabes وهم طائفة من أهل البلاد ظلوا على ديانتهم المسيحية ولكنهم اتخذوا من اللغة والثقافة العربية أسلوباً لحياتهم.

وكان هؤلاء المستعربون هم نواة الاستشراق الإسباني قبل أن يعرف الاستشراق بفترة طويلة [٢]. وفضلاً عن ذلك، فقد تكونت في طليطلة بعد سقوطها في يد الملك القشتالي الفونسو السادس عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م مدرسة للترجمة عملت على ترجمة تراث المسلمين من العربية إلى اللاتينية ،وكان باكورة إنتاج هذه المدرسة ترجمة معاني القرآن الكريم على يد مستعرب يدى ماركوس الطليطلي، ثم ترجمت ألفاظ القرآن الكريم بناءً على توصية من الراهب بطرس الجليل رئيس دير كلوني وذلك عام ١١٤٣م. [٣] وقد استمرت مدرسة طليطلة تؤدى دورها في ترجمة تراث المسلمين حيث بلغت ذروة تألقها

---

(١) من المعلوم أن بلاد الأندلس (أسبانيا والبرتغال) خضعت لحكم المسلمين فترة طويلة بلغت ثمانية قرون تقريباً.

(٢) أنظر : محمود علي مكي : حول دور الاستشراق والمستشرقين في علاقة الشرق بالغرب، مقال بجريدة الأنباء الكويتية، عدد ٧١٩٨ بتاريخ ١٣/٥/١٩٩٦م.

(٣) من المعروف أن كلوني مدينة فرنسية أنشئ عندها دير كلوني للآباء البندكتيين، ومنه انبثقت نهضة دينية وثقافية في القرن الحادي عشر الميلادي لم تلبث أن عمت غرب أوربا ، أما عن الصلة بين هذا الدير وأسبانيا فترجع إلى أيام استيلاء الفونسو السادس على طليطلة حيث وقع هذا الملك تحت تأثير مستشاريه الفرنسيين وخاصة زوجته كونستانس التي تنتمي إلى آل كابيه ملوك فرنسا ، وعن هذا الطريق انتشر الرهبان الفرنسيين أتباع نظام كلوني في شمال أسبانيا. راجع : مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس . ص ٢٨٣.

في عصر الملك القشتالي الفونسو العاشر Alfonso X الملقب بالعالم El Sabio وكان الترجمة في هذه المدرسة من المسلمين والمسيحيين المستعربين واليهود.

بيد أن الحال لم يستمر طويلاً على هذا المنوال، إذ اجتاحت أسبانيا موجة من التعصب الديني ضد المسلمين عقب نجاح الملكيين الكاثوليكيين فرناند وإيزابيلا في الاستيلاء على غرناطة عام ١٤٩٢م/ ٨٩٧ هـ آخر معاقل المسلمين في الأندلس، وعمل الحكام الأسبان على طمس معالم التراث الإسلامي في الأندلس ، وكل ما يمت له بصله، وبرغم الحرب الشعواء التي شنها المتعصبون ضد تراث المسلمين، إلا أنه اعتبار من عصر الملك الأسباني كارلوس الثالث عاد الاهتمام بدراسة تراث المسلمين مرة أخرى، وذلك حينما أسند هذا الملك مهمة دراسة وترتيب المخطوطات الكثيرة والمحفوظة في دير الأسكوريال شمال العاصمة مدريد إلى مجموعة من الرهبان السوريين واللبنانيين وتمكن ميخائيل الغزيري M. Casiri من عمل فهرس لهذه المخطوطات ونشر في مجلدين كبيرين تحت عنوان : Bibliotheca Arabico Hispana Escurialensis . ثم خطت الدراسات الاستشراقية الإسبانية خطوة أخرى حينما نشر الأب اليسوعي خوان أندريس Juan Adnris كتاباً من ثمانية مجلدات بعنوان «أصول كل الآداب وتطورها وأحوالها الراهنة».

Delli origine, Progressi e stato attuale d'ougnhi Litteratura .

(بارما - ١٧٨٢ - ١٧٩٩) حيث أشاد فيه بفضل الحضارة العربية الإسلامية ليس علي إسبانيا فقط بل ذكر أن كل ظاهرة أدبية أو فكرية ظهرت في أوربا إنما يرجع الفضل في ظهورها إلى المسلمين [١] ولا شك أن ما كتبه أندريس في نهاية القرن الثامن عشر كان يعتبر في ذلك الوقت ضرباً من الوهم والخيال من وجهة نظر الباحثين والدراسين في أوربا، ولكن الدراسات التي ظهرت بعد ذلك أثبتت صحة ما ذهب إليه أندريس .

وتبدأ مدرسة الاستشراق الأسباني مع مطلع القرن التاسع عشر في معالجة الفترة الإسلامية في تاريخ أسبانيا من منظور قومي ، حيث اعتبر نفر من الباحثين الأسبان أن فترة الوجود العربي بأسبانيا إنما هي جزء من تاريخ أسبانيا العام، وأن الحضارة التي برزت خلال هذه الفترة إنما هي جزء من حضارة أسبانيا ، وعلى ذلك كتب كوندي J. A. Conde تاريخاً لبلاد الأندلس عام ١٨٢٠م بعنوان « تاريخ العرب في أسبانيا » Historia de La Dominacion de los arabes en Espana.

وعلى الرغم من أن كوندي أشاد بالمسلمين ودورهم في تاريخ بلاده أسبانيا، إلا أنه وقع في العديد

---

(١) محمود علي مكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية . الفصل الأول ص ٣٧ - ٣٨ .

من ا لأخطاء لعل مردها عدم فهمه للنصوص التي كان يقرأها خاصة وأن غالبية مصادره عن تاريخ الأندلس عبارة عن مخطوطات ومصادر أسبانية، كما أن هذا الكتاب يفتقر إلى الدقة والموضوعية وتحري الحقيقة التاريخية رغم حماسة مؤلفه في الدفاع عن المسلمين والإشادة بحضارتهم [١]

ويأتي بعد كوندي مستشرق أسباني آخر يعتبره البعض رائد الاستشراق الأسباني الحديث ونعني به باسكوال دي جايانجوس Pascual de Gayangos (١٨٠٩ - ١٨٩٧ م) وأهم ما قام به من أعمال ترجمته للمعلومات التاريخية التي تضمنها كتاب «نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب» للمؤرخ الجزائري المقري التلمساني إلى اللغة الإنجليزية بعد ترتيب هذه المعلومات ترتيباً زمنياً مع التعليق عليها بحواشي مفيده، وقد نشر باسم History of the Mohammadan Dynasties in Spain ويمتاز جايانجوس بأنه أجاد اللغة العربية إجادة تامة فتمكن من قراءة وفهم المصادر العربية، وفضلاً عن ذلك التزم جايانجوس بالحياد التام في كل ما تناوله من موضعات [٢] كما قام بنشر بعض نصوص الموريسكين الذين كانوا يكتبون بالإسبانية ولكن بحروف عربية وفضلاً عن ذلك فقد كون جايانجوس مدرسة من الباحثين الأسبان الذين اتبعوا منهجه وأصبحوا من أبرز علماء الأندلسيات.

ومن أعلام هذه المدرسة التي كونها جايانجوس المستشرق سافدرا Saavedra الذي عكف على دراسة اللغة العربية وتمكن عن هذا الطريق الاطلاع على المصادر العربية المتعلقة بتاريخ الأندلس ونشر كتاباً عن فتح العرب لأسبانيا بعنوان

Estudio sobre La invasion de los Arabes en Espana

كذلك اهتم خافير فرنسيسكو سيمونيت J. F. Simonet بدراسة لغة عرب الأندلس وأصدر كتابين الأول : عبارة عن قاموس Closario ضم الكلمات الأيبيرية واللاتينية التي كان المستعربون الأندلسيون يستخدمونها في حياتهم اليومية، والثاني عن المستعربين وأسماء تاريخ المستعربين في أسبانيا Historia de Los Mozarabes ولكن ما يعيب سيمونيت هو كراهيته الشديدة للإسلام والمسلمين، ففي كتابه الأول يحاول إثبات أن المسلمين في الأندلس إنما كانوا متأثيرين بالحضارة اللاتينية أي أنه يريد أن ينفي صفة الأصالة عن الحضارة الأندلسية، وفي كتابه الثاني عمل على تمجيد المستعربين وحاول بشتى الطرق أن يثبت أن هؤلاء المستعربين كانوا يتعرضون للظلم في ظل الحكم الإسلامي [٣].

---

(١) مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس : ص ٣٨٤ .

(٢) مصطفى الشكعة : المغرب والأندلس ، آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية دار الكتاب المصري. القاهرة ١٩٨٧. ص ٣٩ .

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة.

ولكن لم يكن بقية المستشرقين الأسبان على شاكلة سيمونت خلال القرن التاسع عشر، بل على العكس من ذلك نجد أن غالبيتهم قد أنصف الحضارة الأندلسية إنصافاً تاماً. ويأتي على رأس هؤلاء المستشرق الأسباني الكبير فرنسيسكو كوديرا (١٨٣٦ - ١٩١٧) هذا المستشرق من أهالي مدينة سرقسطة Zaragoza وقد شغف كوديرا بالحضارة الإسلامية في الأندلس، فدرس العربية حتى أتقنها ، بل وصل به الحال إلى حد أنه كان يقول أنه ينحدر من أصول عربية وأطلق على نفسه لقب «الشيخ فرنشيسكه قداره» وقام كوديرا بنشر عدد لا بأس به من كتب التراث الإسلامي نخص بالذكر منها عشرة مجلدات عرفت باسم «المكتبة الأندلسية» مثل كتاب الصلة لابن بشكوال والتكملة لابن الأبار وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي والمعجم في أصحاب أبي علي الصدفي وبغية الملتمس للضبي وفهرست ما رواه ابن خليفه عن شيوخه. بالإضافة إلى ذلك فقد ألف كوديرا كتاب عن دولة المرابطين في المغرب والأندلس بعنوان اضمحلال وانهيار دولة المرابطين .

Decadencia y desparcion de Los Almoravides, Zaragoza 1888.

ولم يقتصر دور كوديرا على مجرد النشر والتأليف ، بل أنه اقتفى خطى استاذه جايانجوس ،وكون هو الآخر مدرسة من المستشرقين الأسبان الذين قدر لهم أن يمضوا قدماً بحركة الاستشراق الأسبانية أمثال خوليان ريبيرا وآسين بلاثيوس وانخل جونثالث بالنسيا وأميليوجارثيا جومز [١] وبالنسبة لخوليان ريبيرا Julian Ribera (١٨٥٨ - ١٩٣٥) كان أقرب الناس إلى كوديرا وساعده الأيمن فيما نشره من كتب التراث الإسلامي بالأندلس ، وكان ريبيرا ينادي بنظرية قومية الحضارة الأندلسية بالنسبة للأسبان، ويرى ضرورة تعريف أبناء بلده الأسبان المعاصرين بالفترة الإسلامية من تاريخ بلادهم والتي ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية الأندلسية وأشعت بنورها على كافة أنحاء أوربا بيد أن شهرة ريبيرا في مجال الاستشراق إنما ترجع إلى تلك النظرية الجريئة التي طلع بها على المشتغلين بالآداب الأوربية عام ١٩١٢ م . ومفاد هذه النظرية أن الشعراء البروفانسيين (شعراء التروبادور أو الشعراء الجوالون) الذين اعتبروا أول من نظم الشعر الغنائي في أوربا، هؤلاء الشعراء لم يفعلوا أكثر من تقليد ما سبق أن نظمه الزجالون والوشاحون الأندلسيون،واعتمد ريبيرا في إثبات صحة نظريته على إجراء مقارنة بين الأزجال والموشحات الأندلسية خاصة أزجال ابن قزمان وموشحات نصر بن بسام وبين الشعر الغنائي الأوروبي. وقد أثبتت الأيام - وبعد قيام العديد من الباحثين والاختصاصيين في مجال الأدب بدراسة هذه النظرية الجديدة الجريئة - صحة نظرية ريبيرا وسلامتها إلى حد كبير.

---

(١) لم يتتلمذ جارثيا جومز علي يد كوديرا ولكن اعتبر من مدرسته على أساس أنه أخذ نفس الاتجاه الفكري لمدرسة كوديرا . راجع : مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ٤١ .

ثم قام ريبيرا بإصدار دراسة أخرى قيمة عام ١٩١٥م أشار فيها إلى أن الشعر الملحمي الذي ظهر في أوربا إنما هو عربي الطابع وأن الملاحم الفرنسية والإسبانية إنما تأثرت إلى حد كبير بالملاحم العربية [١] ولا شك أن ريبيرا بآرائه ونظرياته تلك قد أنصف الحضارة الإسلامية في الأندلس إنصافاً كبيراً ، وأوضح بما لا يدع مجالاً للشك فضل هذه الحضارة على الغرب الأوربي، وعلى الرغم من النقد الشديد الذي وجه إلى آراء ريبيرا إلا أن ظهور العديد من الدراسات بواسطة العديد من المستشرقين أثبتت صحة ما ذهب إليه ريبيرا.

ومن المستشرقين الأسبان الذين أثاروا جدلاً عنيفاً بين العلماء والباحثين بسبب آرائهم الفكرية نذكر ميجل آسين بلاثيوس Miguel Asin Placios (١٨٧١ - ١٩٤٤) وهذا الرجل كان من رجال الدين المسيحي ، ولذلك اهتم بصفة خاصة بدراسة الحياة الروحية عند المسلمين وكذلك الفلسفة الإسلامية، ونشر في هذا المجال العديد من الدراسات القيمة مثل دراسته عن الغزالي وابن باجه السرقطي وابن مسرة ومدرسته الفكرية وابن عباد الرندي ومحي الدين بن عربي وطريقته الصوفية. كما قام بتحقيق كتاب الحدائق لابن السيد البطليوسي وترجم كتاب الفصل لابن حزم إلى الأسبانية مع مقدمة دراسية هامة عن هذا المفكر الأندلسي، كما أولى بلاثيوس الفيلسوف المسلم ابن رشد عناية خاصة حيث خصص قسماً كبيراً من جهده لدراسة هذا الفيلسوف الأندلسي وكتاباته وآرائه الفلسفية.[٢] ومن أهم أعمال بلاثيوس أيضاً نذكر تلك النظرية التي نادى بها في دراسته للكوميديا الإلهية لدانتي والتي نشرها في مدريد عام ١٩١٩م بعنوان « الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية»

La escatalogia musulmana de la divina Comedia

وفي هذه الدراسة نادى بلاثيوس بنظرية مفادها أن دانتي إنما استوحى عمله من قصة المعراج الإسلامية وبالطبع أحدثت نظريته تلك جدلاً شديداً بين العلماء خاصة الإيطاليين الذين أنكروها واعتبروها ضرباً من الخيال والوهم. بيد أن الأبحاث التي قام بها نفر من العلماء بعد ذلك أثبتت صحة نظرية بلاثيوس.

ومن تلاميذ كوديرا أيضاً انخل جونثالث بالنثيا Angel Gonzales Palencia (١٨٨٩ - ١٩٤٩) الذي ألف العديد من الكتب تدور كلها حول إبداعات العلماء المسلمين في الأندلس فنشر كتاب تقويم الذهن في المنطق لأبي الصلت أميه بن عبد العزيز الداني، كما ألف كتباً عن تاريخ الفترة

---

(١) ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس . ترجمة الطاهر مكي. دار المعارف . مقدمة المترجم.

(٢) الشكعة : المرجع السابق ص ٤٣ - مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٨٦ .

الإسلامية في أسبانيا بعنوان «تاريخ إسبانيا الإسلامية» .Historia de Espana musulmana وكتاباً آخر يعد من أهم كتبه هو كتاب تاريخ الأدب العربي الأسباني Historia de La Literatura Arabigo - EspanoL وقد ترجمه إلى العربية المرحوم الدكتور حسين مؤنس بعنوان تاريخ الفكر الأندلسي وقد تحدث بالنشيا في كتابه السالف عن كل أوجه المعرفة الإسلامية في الأندلس من فلسفة وتاريخ وطب وصيدله وفقه وغير ذلك.

أما إميليو جارثياجومز Emilio Garcia Gomez (١٩٠٥ - ١٩٩٥) فيعتبره البعض شيخ المستشرقين الأسبان، وقد انصب اهتمام جومز على الأدب والحياة الأدبية في الأندلس ، فدرس العديد من الشخصيات الأدبية الأندلسية مثل دراسته القيمة عن ابن قزمان وابن حزم وابن حيان ، كما أصدر العديد من الأبحاث والمقالات في هذا الشأن نذكر منها على سبيل المثال - لا الحصر - كتابه «خمسة شعراء مسلمين Cinco poe tas musulmanes) ترجمه إلى العربية الدكتور الطاهر مكي تحت عنوان مع شعراء الأندلس والمتنبي) ، كما قام جارثياجومز بنشر مجموعة الأمثال العربية الأندلسية لابن هشام اللخمي الاشبيلي وابن عاصم الغرناطي. ولا شك أن هذه الدراسات المتعلقة بالأمثال تساعد الباحثين في تصوير المجتمع الأندلسي لأنها تعبر عن نبض ومشاعر المجتمع وطبيعة طبقة العامة على وجه الخصوص ، لأنها نابعة من الشعب ومرآة صادقة لآرائه واتجاهاته. (١) أيضاً قام جومز بتحقيق كتاب «رايات المبرزين وغايات المميزين» لابن سعيد المغربي، ورسالته في فضل الأندلس للشقندي ، كما نشر كذلك كتاب «مفاخرة مالقه وسلا» للسان الدين بن الخطيب الغرناطي وغير ذلك من الأبحاث والدراسات، ولم يقتصر دور جارثياجومز علي مجرد كتابة المقالات والدراسات، بل أشرف علي تحرير مجلة الأندلس الذائعة الصيت لمدة طويلة وتتلمذ على يديه عدد كبير من الباحثين في مجال الأندلسيات نذكر منهم المستشرق الأسباني بدرو مارتينث مونتابث وميجل كروث هرناندث ومن العرب استاذنا الدكتور أحمد مختار العبادي.

ولم تقتصر جهود المستشرقين الأسبان على دراسة الأدب والفلسفة واللغة، بل نجد العديد منهم يتجهون لدراسة عدة نواحي في الحضارة الأندلسية، فمثلاً هناك من تناول الجانب الاقتصادي والاجتماعي مثل بدروشالميتا Pedro Chelmeta صاحب الدراسة القيمة عن صاحب السوق في الأندلس El Senor deL Zoco in Espana وخواكين بالبيه Joaquin Vallve الذي كتب عن السكان والمجتمع في الأندلس Sobre demogra fia y Sociedad en Alandalus ، والزراعة في الأندلس والصناعة في الأندلس : ومن المستشرقين الأسبان من اهتم بدراسة الجانب العلمي

---

(١) عبد العزيز الأهواني : أمثال العامة في الأندلس . دار المعارف . ١٩٦٢ ص ٢٦٠ ، ٢٦٢ .

عند المسلمين مثل خوسيه مياس بايكروسا J . M. Vallicrosa الذي أعد دراسة حول الفلكي الأندلسي الزرقالي Estudios sobre Azarquiel ودراسة حول علم الفلك الأندلسي

El quehecer astronomico de la Espana Arabe

كما لم يغفل المستشرقون الأسبان جانب الآثار الإسلامية في الأندلس باعتبارها مادة رئيسية من تراثهم القومي، وبدأوا يسلطون الأضواء على المكتشفات الأثرية الإسلامية في مواقع عديدة من أسبانيا وبفضل جهودهم جذبوا اهتمام العالم إلى آثار الإسلام في الأندلس، ووجهوا الأنظار إلى عظمة تراثه الفني [١] فأصدروا العديد من الدراسات والأبحاث والمؤلفات التي أصبح من المتعذر حصرها. ولكن لا بأس هنا من الإشارة إلى بعض العلماء والأثريين الأسبان ومؤلفاتهم في هذا المجال، ويعتبر العالم الأثري ريكاردو بلاسكيث بوسكو Ricardo Velasquez Bosco من أوائل الأثريين الأسبان الذين نقبوا وكشفوا آثار مدينة الزهراء، [٢] وسجل نتائج بحوثه في كتابه «مدينة الزهراء والعامرية Medina Azahara y AL amiriya

وكذلك الأثري رفاييل كاستيخون Rafael Casteijon الذي أكمل جهود سابقه وأجرى حفائر جديدة في مدينة الزهراء أسفرت عن اكتشافات أثرية جديدة، أكملت الصورة التي كانت عليها هذه المدينة ، وفي مجال النقوش العربية على الآثار الأندلسية يصادفنا اسم العالم رودريجو أمادور دي لوس ريوس الذي كتب عن النقوش العربية في أشبيلية وفي قرطبة. أيضاً هناك لافويتي القنطرة الذي أصدر كتاباً عن النقوش العربية في قصر الحمراء عام ١٨٦٠م [٣] وفي مجال علم النميات والمسكوكات الأندلسية يبرز اسم أنطونيو بريتو أي بيبس A. Prieto y Vives وكتابه الشهير عن ملوك الطوائف وعملاتهم Los Reyes de Taifas estudio historico numismatico de los musulmanes e espanoles en el Siglo V de Hegira وبالإضافة إلى بيبس نذكر العالم

---

(١) عبد العزيز سالم : تقييم لجهود المدرسة الإسبانية ومدرسة الاسكندرية في مجال الآثار الإسلامية الأندلسية والمدن، مقال بصحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد عدد ٢٧ عام ١٩٩٥ .

(٢) مدينة الزهراء : مدينة ملوكية تقع على بعد ثمانية كيلومترات إلى الشمال الغربي من قرطبة على سفح جبل العروس من جبال قرطبة، أنشأها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر واستمر العمل بها حوالي أربعين سنة، ولكنها تهدمت وخربت أثناء الفتنة التي اجتاحت الأندلس مع مطلع القرن الخامس الهجري (٣١١) والتي عرفت باسم الفتنة البربرية . - راجع : الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية . ب.ت. جـ٢ ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

(٣) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٠ .

الأسباني مانويل أوكانيا خيمنث Manuel Ocana Jimenes الذي يعتبر من أبرز وأشهر الخبراء في العملات الإسلامية وأحد المتخصصين القلائل في علم النقوش العربية والنميبيات، ومن أبرز أعماله كتابه عن النقوش العربية بالمرية وكتابه عن الخط الكوفي في الأندلس وتطوره ، وكتابه عن النقوش الكتابية في عصر دويلات الطوائف وغير ذلك من الأبحاث والدراسات الطيبة [١] .

وكما سبق القول لا يتسع المجال هنا لذكر جهود كل المستشرقين الأسبان في إبراز فضل الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، وحسبي أنني أشرت إلى أبرز من عمل في هذا المجال، كما أن هناك العديد من المجلات والدوريات العلمية المتخصصة والتي صدرت في أسبانيا وكلها تعالج موضوعات شتى في تلك الفترة المزدهرة في تاريخ أسبانيا ألا وهي فترة الوجود العربي الإسلامي بها، مثال ذلك مجلة الأندلس ومجلة القنطرة ومجلة أوراق ومجلة جامعة غرناطة للدراسات العبرية والعربية ، كما اهتم الأسبان بتوثيق صلاتهم مع العالم العربي، فأنشأوا العديد من المراكز الثقافية في المدن العربية بالإضافة إلى المعهد الأسباني العربية للثقافة في مدريد ومعهد التعاون مع العالم العربي.

ولا شك أن كل هذه الجهود كان لها أكبر الأثر في إبراز الدور القيادي للحضارة الأندلسية في العصور الوسطى ، وقد لا نكون بعيدين عن الصواب إذا ما قلنا أنه لولا جهود هؤلاء المستشرقين الأسبان مع غيرهم من الباحثين لما قدر للعالم أن يعرف شيئاً عن دور الحضارة الأندلسية وأثرها في أوربا. [٢]

تم بحمد الله

---

(١) نفس المرجع ص ١١ .

(٢) لابد أن نشير هنا إلى جهود كل من المستشرق الهولندي رينهارت دوزي والمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال في مجال الدراسات التاريخية والأدبية الأندلسية.